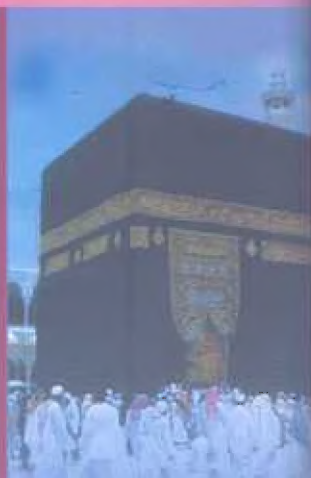


الإسلام والجهاد

اقتراعات لها تاريخ

دراسة حول الإسلام والغربة الأخيرة للإسلام

أ.د. محمد عمارة



الإسلام والغرب

أثير لك لما يلوغ

دراسة حول الإسلام الغربية الأخيرة للإسلام

أ.د. محمد عمارة



• الكتاب:
الإسلام والغرب .. اختراعات لها تاريخ

• تأليف:

أ.د. محمد عمارة

• سلسلة:

رسائل الدعوة

• قياس الصفحة:

١٧ × ٢٢

• رقم الإيداع:

٢٠٠٦/٧٩٥٠

• الترخيص الدولي:

977-367-120-8

• جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل مثير الطبع
والنقل والتصوير والترجمة والتسجيل الرقمي
والسموع والحاسوبي.. وغيرهما من الحقوق إلا
بإذن خطي من المؤلف ومن:

مركز الإعلام العربي

ص.ب ٩٢ الهرم - الجيزة - مصر

• هاتف: ٠٢٠٢ / ٣٨٢٢٢٦١

• فاكس: ٠٢٠٢ / ٣٨٢١٧٥٩

• الموقع على شبكة الانترنت:

Home Page: www.Resalah4u.net

• البريد الإلكتروني:

E-Mail: media@life-eg.com



الناشر: الشبي

إبراهيم حسن

الطبعة:

إبراهيم نسور

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ

٢٠٠٦ م



مقدمة الناشر

تأتي هذه الدراسة للكاتب والمفكر الإسلامي الكبير د. محمد عمارة لتقدم لنا قراءة جديدة لمسلسل العداء الغربي للإسلام، وهو يوضح في هذه الرسالة أن هذا العداء ليس وليد اليوم، ولكنه عداء قديم متجذر في النفسية والعقلية الغربية.

وتؤكد هذه الدراسة على أن الغرب ليس موقفاً واحداً، وأن عداءه للإسلام ليس شاملاً، وأن المشكلة هي مع مشروع الهيمنة الغربي. ومؤسساته - الدينية والسياسية والإعلامية. وأن هناك من علماء الغرب ومفكره من أنصفوا الإسلام إنصافاً متميزاً وممتازاً.



ومركز الإعلام العربي يسعده أن يقدم هذه الدراسة الجادة والمهمة في سلسلة رسائل الدعاة، لتكون إسهاماً فعلياً وحقيقياً في توعية العقلية الإسلامية، ولتضيف جديداً إلى ساحة الفكر الإسلامي والعمل الدعوى.

مركز الإعلام العربي

هذه الدراسة.. لماذا؟

● إن إنعاش الذاكرة بحقائق الافتراءات الغربية على الإسلام، ووقائع الإهانات الغربية لمقدسات المسلمين، لا نريد به تأجيج نيران الكراهية للإنسان الغربي، ولا إقامة القطيعة مع الحضارة الغربية.. وإنما نريد به تشخيص «الداء»، ليكون ذلك هو المدخل الطبيعي والصحي للبحث عن «الدواء».

● إن التعارف، ومن ثم التعايش، الذي يريده الإسلام بين جميع الأمم والشعوب - على اختلاف ألوانها وأجناسها ودياناتها وحضاراتها - لن يصبح في المتناول إلا إذا كشفنا الغطاء عن «القتابل الملقومة» - في الثقافات - التي تحول دون بلوغ هذه الأهداف.

● لقد قال أسلافنا العلماء: «إن كُفر المقولة لا يعنى كفر قائلها».. فقد يكون جاهلاً، أو لديه تاويل - حتى لو كان فاسداً.

ومن ثم: فإن وجود الكثير من الأكاذيب والافتراءات ضد الإسلام في المخزون الثقافي والتراثي الغربي، لا يعنى إدانة الإنسان الغربي.. الذي قد يكون ضحية لهذا التراث من

- إن الهدف من هذه الدراسة هو «المكاشفة»، بتسليط الأنوار على الوقائع التي تسمم العلاقات بين الغرب والإسلام، والتي تجعل الحوار بينهما أشبه ما يكون «بحوار الطرشان»^١.
- إن هذه الدراسة ليست دعوة «لكراهية الغرب»، وإنما هي جهد مخلص لمعالجة جذور «الكراهية» التي تنميتها وترعاها مؤسسات الهيمنة الغربية ضد الإسلام.
- وليس مثل المكاشفة بالحقائق سبيلاً للسير نحو التعارف وبناء الثقة بين الأمم والثقافات والحضارات.

د. محمد عمارة

القاهرة في المحرم ١٤٢٧ هـ

الموافق: فبراير ٢٠٠٦ م

تهييد

مشكلتنا، في مواجهة الهجوم على الإسلام، والإساءة إلى رسولنا (ﷺ)، وخاصة تلك التي تتكرر من دوائر سياسية ودينية وإعلامية في الغرب.. أننا نتعامل مع هذه التهجمات والإساءات تعاملًا غير صحي، يتسم - في أغلب الأحيان - بالتجزئية والموسمية والانفعالات، التي سرعان ما تتبخر، مع بقاء المواقف المعادية على حالها، بل ربما هي في تصاعد وازدياد.

وحلاً لهذه المشكلة؛ فإن العقل المسلم، ومؤسسات العلم والإعلام الإسلامية، عليها أن تعي عددًا من الحقائق، التي تمثل ثوابت حاكمة - أو يجب أن تكون حاكمة - لمواقفنا إزاء هذه التهجمات.

وأول هذه الحقائق: هي إدراك الجذور العميقة للعداء للإسلام عند الآخرين.. فمنذ ظهور الإسلام بدأ العداء له، والتهجم عليه، والافتراء على رسوله (ﷺ).

ولقد سجل القرآن الكريم، وسجلت السيرة النبوية هذه الحقيقة، باعتبارها سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، ﴿وَذَكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرِيدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا

مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿ (البقرة: ١٠٩)، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٦)، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف: ٨).

ولقد اعترف كثير من الغربيين بقدوم العداء الغربي للإسلام، حتى قال القائد والكاتب الإنجليزي «جلوب باشا» (١٨٩٧ - ١٩٨٦م): «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط - أي مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامي - إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد»! أي إلى ظهور الإسلام!!

فنحن - إذن - أمام موقف ثابت وقديم.. ولسنا أمام مقال هنا أو رسم «كاريكاتوري» هناك، ومن ثم فنحن في حاجة إلى استراتيجية ثابتة ودائمة لمواجهة هذا العداء وهذه التهجمات.

والحقيقة الثانية: هي أن هذا الغرب - الذي تأتى منه أغلب هذه التهجمات ليس كتلة واحدة ولا موقفاً واحداً إزاء الإسلام.. صحيح أن الأكاذيب والافتراءات تملأ الكتب المدرسية الغربية - حتى لقد رُصدت هذه الأكاذيب في مشروع بحثي أنجز في ألمانيا، فبلغت ثمانية مجلدات!!

وصحيح أن هذه الأكاذيب تنتشر في الثقافة الشعبية الغربية - التي تصور المسلمين عبدة للثاوث!! وتصور رسول الإسلام (ﷺ) كاردينالاً كاثوليكيًا، رشح نفسه في انتخابات البابوية، فلما رتب أحدث انشقاقًا هو الأكبر والأخطر في تاريخ النصرانية!! إلى آخر مخزون ثقافة الكراهية السوداء في المجتمعات الغربية - إن كان له آخر - لكن.. ومع هذا.. فإن هناك عددًا كبيرًا من علماء الغرب ومفكره قد قادتهم عقولهم إلى احترام الإسلام، والثناء على حضارته، والإنصاف لتاريخ الأمة الإسلامية.

ولذلك؛ فعلينا أن نواجه الافتراءات الغربية بمشروع فكري تقدم فيه للغرب - وعلى نطاق واسع - شهادات هؤلاء العلماء والمفكرين الغربيين، المنصفة للإسلام، وذلك من باب (وشهد شاهدٌ من أهلها)، فالأمر المؤكد أن هذه الشهادات ستكون أجدى وأفضل في كشف الزيف الذي تمثله حملات العدا والتشويه للإسلام.

والحقيقة الثالثة: هي أن أفكار الجمود والتقليد والغضب والعنف، التي لا تخلو منها مجتمعاتنا الإسلامية، يسلط أعداؤها عليها كل الأضواء، بل ويبالغون في تصويرها، حتى تغطي على تيار الوسطية والاستئارة والاعتدال في الفكر الإسلامي - وهو التيار الأوسع والأعرض والأعمق -

وذلك لتشويه كامل الصورة الإسلامية، وإخافة الشعوب الغربية من الإسلام، فتتخبط وراء حكوماتها الاستعمارية في الحرب على عالم الإسلام.. وفي مواجهة ذلك، علينا أن نقدم للإنسان الغربي مشروعاً للتعريف بالإسلام، نترجم فيه الفكر الوسطى الإسلامى، وأن تقدم هذا المشروع المؤسسات الإسلامية المعروفة بالوسطية والتاريخ العريق - مثل الأزهر الشريف -، وذلك لنقول لهؤلاء الآخرين: هذا هو الإسلام، لمن أراد أن يعرف حقيقة الإسلام.

والحقيقة الرابعة: هي أن هناك علاقة جدلية بين «الدفاع» و«الهجوم»، وإذا كان «الدفاع» غير «الاعتذار»، فإن علينا، ونحن ندافع عن الإسلام إزاء التهجمات التي توجه إليه، والإساءات التي توجه إلى رسولنا (ﷺ)، وخاصة من دوائر الهيمنة - السياسية والإعلامية - الغربية.. علينا - ونحن نعرف الآخرين بحقائق سماحة الإسلام وعدالته - أن نتخذ موقف الهجوم على الفكر العنصرى والدموى الذى تزخر به الموارث الدينية والحضارية لدى هؤلاء الغربيين الذين يهاجمون الإسلام، والذين يبصرون «القشة» فى عيون غيرهم، ويتعامون عن «الأخشاب والأشواك» التي تمتلئ بها عيونهم! وعلى الذين ينتقدون «الخطاب الدينى الإسلامى» أن ينظروا - أولاً - إلى خطاباتهم الدينية والثقافية الطافحة بالعنصرية والدموية والاستعلاء والتمركز حول الذات وإنكار

الاعتراف بالآخرين.

كذلك، يجب علينا - ونحن ندافع عن الإسلام، ونرد سهام خصومه - أن نستخدم سلاح الوعي بحقائق التاريخ.. والوعي بحقائق الواقع الذي تعيش فيه. فنذكر الذين يتهمون المسلمين بالعدوانية والإرهاب: أن الشرق قد تعرض لعدوان الغرب، واستعمار وقهره ونهبه منذ ما قبل الإسلام، وبعد ظهور الإسلام، فالتضحية أقدم حتى من الإسلام!

فالإغريق والرومان والبيزنطيون قد احتلوا الشرق وقهروه - حضارياً ودينياً وثقافياً ولغوياً - عشرة قرون.. من الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١ م) - في القرن السابع للميلاد.

ولما حررت الفتححات الإسلامية أوطان الشرق وسماتر شعوبه من هذا القهر الاستعماري، عاد الغرب ليحتل الشرق من التحرير الإسلامي، فشن عليه حملاته الصليبية التي دامت قرنين من الزمان (١٠٩٦ - ١٢٩١ م)، ولم يتورع الغرب - إبان هذه الحروب الصليبية، التي رفع فيها أعلام النصرانية - من أن يتحالف مع التتر الوثنيين ضد الإسلام.

ولما حررت دول الفروسية الإسلامية الشرق من جيوش الصليبيين وأزالت قلاعهم وكهاناتهم الاستيطانية.. عاد هذا

الغرب الاستعماري منذ إسقاط غرناطة (١٤٩٢م) إلى القيام بغزواته الحديثة، فالتفت حول العالم الإسلامي، ثم أخذ - بفوزة بونابرت (١٧٩٨م) - في ضرب قلب العالم الإسلامي، ولا ولما نعالج آثار هذه الغزوة، التي مضى على بدايتها خمسة قرون، والتي لم يتورع فيها الغرب الاستعماري الحديث عن التحالف مع أعدائه التاريخيين - اليهود والصهاينة - ضد الإسلام والمسلمين، كما سبق وصنع الغرب الصليبي بتحالفه مع الوثنية التنورية في العصر الوسيط؛

ثم.. على الغرب الاستعماري أن ينظر - قبل اتهامه الإسلام وأمنته بالعدوانية والإرهاب - إلى خريطة الواقع الذي تعيش فيه.

فشركات الغرب العابرة للقارات والتجسيات، تنهب ثروات العالم الإسلامي ومواده الخام - بأرخص الأسعار -، هي الوقت الذي يصعدون فيه إلينا سلع الاستهلاك الترفي والترف الاستهلاكي - بأعلى الأسعار - ويعملون على حرماتنا من التنمية والتصنيع وامتلاك أدوات القوة الصناعية.

القواعد العسكرية الغربية تغطي أغلب بلاد العالم الإسلامي، حتى لقد تحولت بلاد عربية وإسلامية إلى قواعد عسكرية، ولا شيء غير القواعد العسكرية، وذلك لحراسة

النهب الاقتصادي، وللعنوان على سيادة الدول الإسلامية

والأساطيل الحربية الغربية غدت تحتل بحارنا
ومحيطاتنا، بل وتحولت مناطق من عالم الإسلام إلى مدافن
للقنابات القاتلة، بعد أن تحولت شعوبنا وزراعتنا إلى حقول
تجارب للفساد والفسار من الأسمدة والمبيدات والأدوية

والغرب، الذي يحرم شعوب الإسلام - دون غيرها - من
حق تقويم النصير، هو الذي يعطي هذا الحق للأقليات التي
هي جزء أصيل من الشعوب الإسلامية، حتى غدا هذا الحق
- لأول مرة في تاريخ الشرعية الدولية - أداة تفكيك للدول
ذات السيادة، بدلاً من أن يكون أداة لتصريم الشعوب من
الاستعمار! - كما حدث ويحدث في «تيمور الشرقية» وهي
جنوب السودان.

يحدث ذلك في واقعا إسلامي، بينما لا تجد في الغرب
جلدياً مسلماً، ولا شركة إسلامية، ولا حتى سفيرة إسلامية
لصيد الأسماك! ومع ذلك يتحدثون عن عدوانيتنا وإرهابنا
شافلين ومستغافلين عن حقائق التاريخ وحقائق الواقع الذي
نعيش فيه، فهل نهي نحن دور هذا الوعي بالتاريخ والواقع
في هذا الصراع؟

فصل جديد.. وليس الأخير!

فى ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٥م نشرت إحدى الصحف الدانماركية - «بولاندس بوشت» - رسوماً كاريكاتورية، مسميئة إلى رسول الله (ﷺ). وكانت هذه الرسوم ثمرة «تسابقة» أجرتها الصحيفة بين رسامى «الكاريكاتور» ليتخيلوا ويرسموا رسول الإسلام، فى الصورة التى رسمتها فى مخيلتهم ثقافتهم الغربية وتراثهم عن رسول الإسلام. وكانت الحمولة أكثر عشر رسماً، منها ذلك الرسم الذى يصور رسول الإسلام (ﷺ) معتماً بعمامة فى شكل قبيلة!! ونقد منهموا ذلك فى حملة صحفية منظمة لمواجهة ما أسماه «الخوف من نقد الإسلام»!!

نعم.. هو رسول السلام العادل، والتوحيد الخالص، والرفق بالشيعة والحمداء فضلاً عن الإنسان والحيوان والنبات، قد صورته الثقافة السائدة فى التراث الغربى «إرهابياً»، نشر دينة بالسيف والدم.. وها هى تعاليمه الآن - الإسلام - قد عدت «الإرهاب» الذى يثيحه فى العالم أتباعه «الإرهابيون»!!

وعندما استقرت هذه الرسوم سفراء الدول العربية والإسلامية فى «كوبنهاجن» - عاصمة الدانمارك - ودعته السفيرة المصرية للاجتماع والاحتجاج، وطالبوا مقابلة رئيس

الوزراء الدانماركي، رفض مقابلاتهم، قائلاً: إن ما نشرته الصحيفة لم يخرج عن حدود القانون، وإن الحكومة الدانماركية لا تتدخل فيما هو من حرية التعبير.

ومع تسرب أنباء هذه الرسوم إلى أجهزة الإعلام في البلاد الإسلامية، غضبت الجماهير لرسولها الكريم، ولقدسات دينها الحنيف، فعمدت المؤتمرات، وصدرت البيانات، واندلعت المظاهرات، وسقط الشهداء... وبدأ جمهور الناس في مقاطعة البضائع الدانماركية، وأحرقت قطاعات من النخبة في الكتابة والخطابة وهائلاً عن العقائد والمقدسات.

لكن رد الفعل الغربي، في الإعلام وفي مؤسسات الاتحاد الأوروبي والحكومات الغربية، كان - في مجمله - سلبياً، بل ومعادياً، فصحف كثيرة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وبلجيكا والبرتغال وأسبانيا وإستونيا وسويسرا وأمريكا والغروج وروسيا - فضلاً عن إسرائيل - قد أعادت نشر الرسوم المسيئة إلى رسول الإسلام، ومفوضية الاتحاد الأوروبي تضامنت مع الدانمارك، بحجة أن حرية التعبير يجب أن لا تتفقد بحرمان مقدسات الإسلام، بل وهددت هذه المفوضية الدول الإسلامية التي تقاطع البضائع الدانماركية بتطبيق العقوبات عليها؛ لأن عقاصمة الدانمارك

هي مقاطعة لكل دول الاتحاد الأوروبي الخمس والعشرين!!
ووصل الأمر إلى حد أن أحد الوزراء - في إيطاليا - دعا إلى
شن حرب صليبية ضد الإسلام والمسلمين، وإلى طبع هذه
الرسوم - المسيئة إلى رسول الإسلام - على القمصان
ليرتديها ويتزين بها الأوروبيون!!

وهكذا انشغل العالم بوقائع أحداث فضول الإهانات
الغربية لمقدسات الإسلام!



وهي الساحة الإسلامية.. ظل كثيرون أن هذا الحادث
الغريب هو حادث مفاجئ.. وشاذ.. وليست له سابقة ولا نظير
في التاريخ، بينما ظل آخرون أن هذا الموقف القوي، الذي
يستتبع إهانة العقائد والمقدسات الدينية الإسلامية، يدعو
حرية التعبير - التي يراها قيمة مطلقة، تعلو على غيرها
من القيم، حتى أنها غير قابلة للنقاش - فظنوا أن ذلك
الموقف القوي هو موقف حديث، أثمرته العلمانية الغربية
التي سادت في السياسة والدولة والمجتمعات الغربية منذ
القرن الثامن عشر، والتي تزعت القداسة عن كل مقدسات
الأديان، والتي تطورت - فيما بعد الحداثة - إلى نزوع
القداسة حتى عن منظومة القيم والأخلاق!

لكن الذي نريد أن تقدمه هذه الدراسة، من خلال

«الوثائق.. والوثائق.. والشهادات الغربية ذاتها»، هو البرهنة على أن عدااء الغرب للإسلام، وتعمده إهانة مقدساته - وفي المقدمة منها رسوله العظيم.. وقرانه الكريم - هو عدااء واقتراء له تاريخ! وأن تاريخ الغرب في اقتراف هذه الجرائم سابق حتى على علقة الفكر الغربي والمجتمعات الغربية. بل إن هذا الموقف الغربي من الإسلام إنما يعود إلى ظهور الإسلام!!

لقد قاتلها الجنرال الإنجليزي -جنوب باشا- - اللصحات جنرال جون باجوت (١٨٩٧ - ١٨٨٦م) - والذي سبق وعمل قائداً للجيش الأردني حتى عام ١٩٥٦م، قالها - في لحظة صدق - فجاءت معبرة أصدق التعبير عن تاريخ الغرب في العدااء للإسلام، لقد قال: «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط (أي مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامي)، إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد» - أي إلى ظهور الإسلام.

• • •

ليس غربياً واحداً

وإذا كنا قد حرصنا دائماً - وفي كل ما كتبناه عن مواقف الغرب من الإسلام وحضارته وأمثه - على ضرورة التمييز في الغرب بين:

١ - الإنسان الغربي، الذي لا مشكلة له مع الإسلام وأمثه وحضارته، والذي يتفهم ديننا وقضايانا عندما تعرض عليه بمنطق وموضوعية.. والذي لنا من بين علمائه ومفكره العشرات بل والمئات الذين تحدثوا عن الإسلام وحضارته بموضوعية وإنصاف، حتى أننا نتعلم من كتاباتهم - نحن المسلمين - الكثير.

٢ - والعلم الغربي، الذي هو مشترك إنساني عام. استفادت فيه النهضة الأوروبية الحديثة من تراث الإسلام العظمى والحضاري، كما سبق واستفاد المسلمون فيه من تراث الحضارات القديمة - الإغريقية، والهندية، والفارسية - التي أحيوا عوارضها الإسلام.

٣ - ومؤسسات الهيمنة الغربية، تلك التي تتركز مشكلة الإسلام والمسلمين معها، لا لأنها شرعية. وإنما لأنها إمبريالية. سبق لها واستعمرت الشرق ونهبته اقتصادياً.

وقهرته دينياً وسياسياً وثقافياً لمدة عشرة قرون - من
الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) في القرن الرابع قبل
الميلاد - وحتى «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١ م) - في القرن السابع
الميلاد!

فلما ظهر الإسلام، وحررت فتوحاته أوطان الشرق من
هذا الاستعمار والقهر الفروبي - الإغريقي - الروماني..
البيزنطي.. عاد هذا الغرب - تحت أعلام الصليب،
و«بايدولوجية» الحرب الدينية المقدسة - ليحارب الشرق،
ويشن عليه العديد من الحملات العسكرية، التي شاركت فيها
دول الغرب وإماراته وقران إقطاعه، بقيادة الكنيسة
الكاثوليكية، وقد استمرت هذه الحملات الصليبية،
والكيانات الاستيطانية والإحلالية التي أقامتها في قلب
العالم الإسلامي قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٩ -
١٢٩١ م).

وعندما نهضت دول الفروسية الإسلامية - الدولة
«الزنكية» - النورية، (٥٢١ - ٦٤٨ هـ - ١١٢٧ - ١٢٥٠ م)،
والدولة «الأيوبيية»، (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ - ١١٧١ - ١٢٥٠ م)،
والدولة «المملوكية»، (٦٤٨ - ٧٨٤ هـ - ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)،
عندما نهضت دول الفروسية الإسلامية هذه فحررت عالم
الإسلام من آثار هذه الحملات الصليبية الفروبية، بدأ الغرب

دورة جديدة من دورات صراعه التاريخي ضد الإسلام والمسلمين، وذلك لإعادة اختطاف الشرق من التحصير الإسلامي. فكانت الحروب التي أسقطت «غرناطة» واقتلعت الإسلام من الأندلس (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) لتبدأ غزوة الخمسمائة عام، الغزوة الغربية الحديثة للشرق الإسلامي، التي لا تزال قائمة وقائعا حتى هذه اللحظات..

لقد بدأت هذه الغزوة الغربية الحديثة بالانتفاف حول العالم الإسلامي - حول أفريقيا (٩٠٢هـ - ١٤٩٧م) - واحتلال الكثير من البلاد الإسلامية في شرقي آسيا - الهند، والفلبين، وأندونيسيا - ثم استدارت لضرب قلب العالم الإسلامي - العالم العربي - ابتداءً من حملة «بوغاموت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر والشام (٢١٢هـ - ١٧٩٨م).

ولكن يدرك الذين لا يدركون وعلى الغرب بهذا التاريخ، بل واحتفاله بذكرياته.. يكفي أن نعلم أن الغرب قد احتفل بمرور خمسمائة عام على إسقاطه «غرناطة» واقتلاعه الإسلام من غربي أوروبا - الأندلس - احتفل بذلك عام ١٩٩٢م، وذلك بإقامة «دورة أولمبية» في «برشلونة» عام ١٩٩٢م - أي في مكان الحدث!! - وذهب العالم - بمن فيه المسلمون! - ليلعبوا على أنغام الذكريات الغربية بالانتصار

على الإسلام، وببدا انغزوة الغربية الحديثة لعالم الإسلام -
من ذات المكان أيضاً - البرتغال - وليشاهدوا - مع الألعاب
- الأفلام والمسرحيات التي تحدث عن هذه الأحداث، في
مسلسل الصراع الغربي ضد الإسلام.

بل وفي نفس العام ١٩٩٢م شن الغرب حربه - بقيادة
الغرب - ضد البوسنة والهرسك، وذلك لاقتلاع الإسلام من
وسط أوروبا، في الذكرى الخمسمائة لاقتلاع من غرب
أوروبا!!



إذن... فمع هذه المؤسسات الاستعمارية الغربية، ومع هذا
المشروع «الإمبريالي» الغربي، الطامع في اغتصاب الشرق،
ونهب ثرواته وتغريب ثقافته، وفقر حضارته، وصح هويته،
تركز مشكلتنا في العلاقة بالغرب... وليس مع الإنسان
الغربي أو العلم الغربي.

إن عداء مؤسسات الهيمنة الغربية للإسلام وأمنته
وحضارته وعالمه قد بلغ حد التحالف حتى مع «الوثنية»
التتوية، إبان الحروب الصليبية - في المصور الوسطى -
ضد الإسلام! والتحالف - في العصر الحديث - مع
«الصهيونية» اليهودية، اليوم، ضد الإسلام، بل يستغل
«الصليبية» - الصهيونية، اليوم، منتهزة فرصة التشرذم في

نظم الحكم الإسلامية، والضعف الذي تسببه تبعية هذه
النظم «المركز - الإمبريالي» الغربي، تسعى لتحالف مع
«الهندوسية» ضد الإسلام.

لقد كتبنا كثيرًا، ونبها مرارًا على ضرورة التمييز في
الغرب بين هذه القطاعات الثلاثة:

الإنسان الغربي.

والتعلم الغربي.

ومشروع الهيمنة الغربية ومؤسساته «الإمبريالية».. وذلك
حتى لا نضع الجميع في «سلة واحدة»، غافلين عن المنهج
القرآني في التعامل مع الآخرين - كل الآخرين - والذي
تلخصه الكلمة القرآنية الجامعة: «وليسوا سواء» (الاعمران
١١٣).

وإذا كنا قد نشرنا العديد من الكتب - الكبيرة،
والمتوسطة، والصغيرة - عن تاريخ الغرب معنا - نحن
المسلمين - على امتداد قرون هذا الصراع الذي قوضه
غلبنا، فإن هدف هذه الدراسة الموجزة هي:

١ - إبراز الوقائع والشهادات الغربية، والحقائق التاريخية، التي تحكم
تاريخ الاضطرابات الغربية على الإسلام، والعداء والعدوان على
مقدساته.

٢ - وتكون هذه الوقائع والشهادات والحقائق التاريخية في صدر

جداول أعمال أية حوارات بين المسلمين وبين الغربيين، وذلك لتكون هذه الحوارات علاجاً للعرض، وليست وقفاً عند العرض، فضلاً عن أن تكون - كحالتها اليوم - علاقات صامتة، ومجاهلات..

إن التناول الشجاع لحقائق العلاقات بين الغرب والشرق، هو الكفيل بفتح الأبواب - ولو ببطء وتدرج - لتصحيح مسارات هذه العلاقات.. وهو وحده الكفيل بتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإعادة بناء الصور لدى الفرقاء المختلفين،

إن علينا أن نجاهد ضد تسطيح البعض لهذه المشكلة، والنظر إليها كحدث طارئ، أو وحيد، أو شاذ، أو معزول، فنحن أمام عداء غربي للإسلام، له تاريخ.. وهو عداء لقدساتنا وتاريخه سابق على العلمانية الغربية التي نزعته القداسة عن كل مفردات العالم الذي نعيش فيه، وهو عداء نابع من كراهية الغرب الاستعماري للإسلام، لأنه العقيدة الجهادية التي تدافع عن الأرض والعرض والثروات، التي هي الهدف الأعظم للقرب الإمبريالي في صراعه التاريخي مع عالم الإسلام، فهذا الغرب - نهب ثروات الشرق الإسلامي - ضمن مشروعه لنهب العالم - وهو يكره الإسلام باعتباره الأيديولوجية الجهادية المحركة للأمة الإسلامية ضد هذه الإمبريالية الغربية، ولذلك، فهو يعمل إما على تمصير المسلمين، وعلى صفحة الإسلام من الوجود - وذلك مقاصد

مؤسساته الدينية - أو على تحويل الإسلام إلى صيغة نصرانية، تقبل بالمبدأ النصراني «دع ما لقيصر لقيصر... وما لله لله»، وذلك حتى يدع المسلمون أوطانهم وثرواتهم «للقيصر - الغربي»، ويكتفون من الإسلام بما هو لله! وذلك هي مقاصد المؤسسات السياسية الغربية، التي عبر عنها المفكر الاستراتيجي الأمريكي «فوكوياما» عندما قال: «إننا نريد حرباً تدخل الإسلام، نجعله إسلاماً ليשראל، حداثياً، علمانياً، يقبل أشد الشيعي، دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»^(١).

إنهم لا يريدون الإسلام الشامل، الذي تصنع «عباداته» روح «الجهاد» في سبيل العزة والحرية والتحرير والاستقلال.. الإسلام الذي يجعل عزة أهله من عزة الله وعزة رسوله (عليه الصلاة والسلام) «ولله العزة ولرسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون» (التوبة: ١٨).. الإسلام الذي يجعل الرهبانية هي الجهاد.. والذي يجعل رهبان الليل هم أنفسهم فرسان النهار «إنما ياتئذ الليل هي أشد وعظا وأقوم قبلا» (الزلزال: ١).



وإذا كان المنهاج الأفضل في تناول لهذا التاريخ الغربي هي العداء للإسلام، والافتراء على مقدساته، والإهانة

(١) مجلة (نيوزويك) - الأمريكية - العدد السنوي، ديسمبر ٢٠٠١م، فبراير ٢٠٠٢م.

لرموزة، هو تقديم الشهادات الغربية التي اعترفت بهذا
 العداء - من خلال الدراسات المنصقة التي كتبها علماء
 ومفكرون غربيون كثيرون، لأن هذه الشهادات والوقائع هي
 الأفضل في جعل الغرب - أثناء الحوار أو السجال - يدرك
 حجم القذى الذي تمثلن به عيوته النافذة إلى الإسلام، كما
 أنها هي الأفضل في إقناظ العقل المسلم، كي يرى حجم
 المشكلة التي تواجهه وهو يتحاور ويتعامل مع مؤسسات
 الهيمنة الغربية. أو مع الإنسان الغربي حول الموقف من
 العقائد والمقاسم.



عداء.. واهانات لها تاريخ

٩

في كتاب مترجم عن الألمانية، كتبه عالمان سويسريان - هما: هوبرت هيركوفر^(١) و«جيهرونوت روتر» - يقولان عن الصورة القريية، الشائعة والمستكنة في التراث الغربي، عن رسول الإسلام (ﷺ):

لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمدا رجلا عاش حياة ذصرة وتجاوز حيشه كل حدود الدناءة والاحتطاف... ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينا لا كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاما من الكنيسة. واعتبرت أوروبا المسيحية، في القرون الوسطى، محمدا المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية...^(٢)

ويشهد المستشرق الفرنسي الشهير، مكسيم رودنسون

(١٩١٥ - ٢٠٠٤م):

(١) هوبرت هيركوفر: حبيبات دهر (سورة الإسلام في التراث المسيحي)، ص ٣٣ - ٣٤، ترجمة: ثابت عبد.. وتقديم: د. محمد عمارة، طبعة دار أوجنة مصر، القاهرة ١٩٩٩م، طبعة دار الشؤون الإسلامية.

« فلقد حدث أن الكتاب اللاتين، الذين أخذوا يبين عاصي
 ١١٠٠م و١١٤٠م على عائلتهم إشباع الحاجة لدى الإنسان العاصي،
 أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أي اعتبار
 للثقافة. فاطلقوا العنان، لجهل الخيال المنتصر... فكان محمد
 (في عرشهم) ساحرا، هدم الكنيسة في أفريقيقا والشرق عن
 طريق السحر والخيديعة. وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات
 الجنسية. وكان محمد (في عرش تلك الملاحمة) هو صنمهم
 الرئيسي. وكان معظم الشعراء الجوالقة يمتدحونه ككبير الهة
 السراسة (البدو). وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من
 مواد فضية، وذات أحجام هائلة!!

لقد اعتبر الإسلام، في المصور الوسطى نوعا من الانتهاق
 الديني، أو هرطقة ضمن المسيحية. وهكذا زاد، دانتى، (١٢٩٥ -
 ١٣٢١م) ...

تلك هي صورة الإسلام ورسوله في الثقافة الشعبية
 الأوروبية، التي تبلورت وشاعت منذ المصور الأوروبية
 الوسطية.. قبل العلمانية.. وقبل أن يعرف الغرب شيئا اسمه
 «حرية التعبير».



(١) د. محمد عمارة، (الإسلام في عيون غربية، بين افتراء الجهلاء، وإنصاف العلماء)،
 ص ٦٥، طبعة دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٦م

وإذا كانت الملاحم الشعبية إنما تمثل أكبر المكونات الثقافية
 جمهور أية أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات. فإن
 «ملحمة رولاند» الشعبية - حوالى عام ١٠٠٠م - تصور
 المسلمين الذين يبلغ التوحيد الدينى للألوهية عندهم أرقى
 درجات انتزاعه والتعريد «فكل ما خطر على يالك، فإله
 ليس كذلك»، تصوره هذه الملحمة الشعرية الشعبية
 الأوروبية - وثنيين، يعبدون ثلاث:

١ - أبولين Apollin .

٢ - وتيرفاجات Tervagant .

٣ - ومحمد Mahamed^(١) .



وإذا كان الدين واللاهوت والفلسفة الدينية قد لعبت دوراً
 بارزاً في تكوين العقل الغربى وثقافة الأوروبية فى عصورها
 الوسطى، فإن القديس - الفيلسوف - توما الأكوينى (١٢٢٥م -
 ١٢٧٤م)، وهو أكبر فلاسفة الكاثوليكية عبر تاريخها - قد

(١) (مقدمة الإسلام فى التراث الغربى)، ص ٢٤، ٢٦.

صور لقومه رسول الإسلام (ﷺ) فقال:

« لقد اضوى محمد الشموخ من خلال وعوده لها بالمتع
التهوانية، وحرف جميع الأدلة الواردة في التوراة والإنجيل من
خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، وله
يؤمن بربائته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في
البادية»^(١).

أما رأس البروتستانتية -مارتن لوتر- (١٥١٦م - ١٥٨٣م)
فلقد قال عن رسول الإسلام - الذي جعل الحياة شعبية من
شعب الإيمان - والعفة ثابتاً من ثوابت القيم الإسلامية.. قال
«مارتن لوتر» عن هذا الرسول الكريم:
«إن محمداً هو خادم العاهرات، وصائد الفوسات»^(٢).



٤

وإذا كانت (الكوميديا الإلهية) التي كتبها الشاعر
الإيطالي الأشهر «دانتي» (١٢٩٥ - ١٣٢١م) قد غدت معلماً
من معالم ثقافة أوروبا منذ عصر النهضة وحتى هذه
اللمحظات، ونصاً يدرسه الطلاب في المدارس والجامعات

(١) المرجع السابق، ص ٢٢، ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

فإن هذه (الكوميديا الإلهية) قد وضعت رسول الإسلام (ﷺ) وعلى بن أبي طالب (كرم الله وجهه):

«في الحفرة التاسعة، في ثامن حلقة من حلقات جهنم؛
لأهلهما - ينظر «دانتي» - من أهل الشجار والتفاق، الذين
تقطعت أجسادهم في سفير الكوميديا الإلهية،^(١١)»



وإذا كانت هذه الإشارات - وهي مجرد إشارات - التي
تفصح عن عناوين الصورة الشعبية والدينية لرسول الإسلام
(ﷺ) في ثقافة أوروبا - العصور الوسطى.. وبدايات عصر
النهضة - فإن هذه الصورة لم تتبدل ولم تتعدل في فكر
«التنوير الغربي».

ففيستوف التنوير الغربي «فولتير» (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) -
الذي قدمه الغرب.. وقدمه المثقفون العلمانيون في بلادنا..
باعتباره نموذج الشجاعة الفكرية.. المستعد للموت في سبيل
حرية الآخرين - هو الذي كتب عن رسول الإسلام (ﷺ)
مسرحيته، (التعصب أو محمد الرسول)، فجعل فيها من
رسول الله نموذجًا للتعصب، رغم اعتراف الرسول بكل

(١١) المرجع السابق، ص ٢٤.

الآخرين، حتى الذين ينكرون نبوته ويكفرون بدينه. وتفتينه: «أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم». كما أخفى «فولتير» - في هذه المسرحية - جبهه أمام الكنيسة، وخوفه من مهاجمة المسيحية أو بقدها، بالهجوم على الإسلام ورسول الإسلام!

ولم يكشف حقيقة هذا الذي جعلوه فيلسوفاً للحرية والتحرير، سوى رائد البقطة الإسلامية الحديثة جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ - ١٨٣٨ - ١٨٩٧ م)، الذي كتب عن «فولتير» و«روسو» (١٧١٣ - ١٧٧٨ م) فقال:

«لقد زعموا حماية العدي ومغالبة الظلم والقيام بانارة الافكار وهداية العقول، فنبشأ قبيح، أبيقور الكلبى (٣٤١ - ٢٦٠ ق.م) وأحيينا ما بلى من عظام الدهريين، ونبدأ كل تكليف ديني، ونفسا بلذورا لباحية والأشتراك، وزعموا أن الآداب الالهية جعليات خرافية، كما زعموا أن الآلهة بان مخترعات أحدثها نقص العقل الانساني، وجهر كلاهما بإنكار الألوهية، ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الانبياء ابراهيم الله ما قالوا، وكثيرا ما ألف فولتير، من الكتب في تحطنة الانبياء والسخرية بهم والقدح في ألسانهم وعيب ما جاءوا به»^(١).

(١) جمال الدين الأفغاني (الأعمال الكاملة) ج ١ - دراسة وتحقيق: د. محمد حمادة.

وإذا كان القرآن الكريم قد علم المسلمين أنه قد جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية التي نزلت على سائر الأنبياء والمرسلين، وتحدث عن مصحف إبراهيم، وزبور داود (عليهما السلام)، وقال عن توراة موسى (عليه السلام) إن فيها هدى ونور (المائدة: ٤٤)، وعن إنجيل عيسى (عليه السلام) إن فيه هدى ونور (المائدة: ١٦).

فلقد قال «مارتن ليوثر» (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) - رأس البروتستانتية الغربية وزعيمها - عن القرآن الكريم: «أى كتاب بغيبض وفطیح وملعون هذا القرآن.. على بالكاذب والخرافات والمظانح.. وإن ازعاج محمد، والأضرار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن، وتصرفه المسيحيين عليه» (١).

وقال الشاعر الألماني الشهير «جوته» (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) عن هذا القرآن الكريم: «إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي، فيشيسر اسمنا زنا دائماً، كلما شرعنا في قراءته» (٢).

(١) (سورة الإسراء: هي التراتل الغربي) ص ٢١.

(٢) من نصائح تحت الطابع، ترجمها الباحث ثابت فهد - مؤرجم (صورة الإسلام في التراث الغربي).

وحتى الرجل الذي أنصف نبي الإسلام، وحصله أعظم العظماء «توماس كارليل» (١٧٩٥ - ١٨٨١م) رأياً يقول عن القرآن الكريم:

«إن محمداً شيء.. والقرآن شيء آخر.. فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش.. جاف.. وغليظ.. باختصار، هو غباء لا يَحْتَمِلُ» (١).

فنجح - إذن - بإزاء عداء لقدس أقدس الإسلام - رسول الإسلام (ﷺ) وقرآنه الكريم - وهو عداء له تاريخ قديم، وثابت، وطويل.



٧

وإذا كنا نكتب اليوم بمناسبة إهانة الغرب - غوب القرون الحادي والعشرين - لمقدسات الإسلام، فإن الوقائع والممارسات الغربية التي تهين وتمتهن هذه المقدسات هي وقائع وممارسات لها تاريخ قديم، بل وسابق حتى على ظهور الإسلام.

فالغرب الذي يهين اليوم مقدسات الإسلام - على الرغم من احترام الإسلام وتقديسه لكل مقدسات جميع الأديان -

(١) المرجع السابق.

هذا الغرب الاستعماري - في طوره الإغريقي، الروماني، البيزنطي - هو الذي امتحن مقدسات النصرانية الشرقية، واتهم عقائدها، واغتصب كنائسها وأديرتها - ولقرونها عديدة - حتى جاءت الفتوحات الإسلامية؛ فحزرت هذه العقائد والمقدسات مع تحريرها لأوطان أصحابها.. وعلى هذه الحقيقة شهد الأسقف ميخائيل السرياني فقال:

«لقد ذهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة. ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان. وتركنا العرب نمارس عقائدهم بحرية، وعشنا في سلام»^(١).

وقبل ميخائيل السرياني، شهد الأسقف يوحنا النقيوس - الذي كان شاهداً عياناً على الفتح الإسلامي لمصر - بأن هذا الفتح الذي حرر مصر من الاستعمار البيزنطي، إنما كان بمثابة العدل الإلهي الذي انتقم الله به من ظلم الرومان.. فقال: «إن الله الذي يصون الحق، ثم يهمل العالم، وحكم على الضالين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، ورددهم إلى أيدي الأسماعيليين العرب المسلمين». ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر، وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله. ويأخذ الضرائب التي حددتها. ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس.

(١) د. مسرى أبو الخير سليم (تاريخ مصر في العصر البيزنطي) ص ٦٢، طبعه

القاهرة، أواخر ٢٠١١ م.

ولم يرتكب شيئاً مما سلباً أو نهباً. وحافظ على الكنائس طوال الأيام. ودخل الأنبا بنيامين - بطريرك الصوريين - مدينة الإسكندرية بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر عاماً، وسار إلى كنائسه. وزارها كلها. وكان كل الناس يقولون: هذا النضر، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك. وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين.. وهلك الروم لهذا السبب. وباد المسلمون مصر. وخطب الأنبا بنيامين (٣٩هـ - ٦٥٩م) في دير مقاريوس. فقال: لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كانتا أشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها القنم المارقهون^(١).



وبعد هذا الإنقاذ والتحرير، والنجاة والطمأنينة والإسلام، الذي حققه الإسلام لكل عقائد أصحاب الديانات وجميع المقدسات.. جاءت الحملات الصليبية الغربية (١٠٩٦هـ - ١٢٩١م) لتحول المسجد الأقصى إلى اصطبل خيل وكنيسة لاتينية، تنتهك حرمة هذا الحرم القدسي الشريف، الذي هو - عند المسلمين - أولى القبلتين.

(١) الأسقف بوجنا القيوس (المروج مصر) بوجنا القيوس، في نسخة من نسخة (إسلام)، ص ٢٠١، ٢٠٢، ٢٢٠، ترجمة وفراصة: د. عبد الوارث عبد الحليم، طبعة القاهرة - دار عين ٢٠١٠م.

وثالث الحرمين، وأحد المساجد الثلاثة التي تتفرد بأن تشد إليها الرحال.. جاء الصليبيون فحولوه إلى اصطبل خيل وكليس لاتيني لما يقرب من تسعين عاماً (١٩٢ - ٥٨٢هـ / ١٠٩٩ - ١١٨٧م) حتى حصره صلاح الدين الأيوبي (٥٢٢ - ٥٨٩هـ / ١١٢٧ - ١١٩٢م).



٩

وبان الحملة الفرنسية، التي قادها «بوناپوت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٢هـ - ١٧٩٨م) دلت جيوشه - جيوش الثورة الفرنسية، الرافعة لأعلام الحرية والإخاء والمساواة - دنت الأزهر الشريف - أقدم وأعرق الجامعات الكبرى، وأحد المساجد الشهيرة في تاريخ الإسلام - ومزقت ودانت - الجنود والخيول - القرآن الكريم، وكتب السنة النبوية المظهرة، وسكر الجنود، وبألوا وتعضطوا على هذه المقدسات، في الأزهر الشريف.. ولقد وصف مؤرخ العصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧ - ١٢٢٧هـ / ١٧٥١ - ١٨٢٢م) هذا الذي افترفه جنود الحملة الفرنسية، فقال:

«لقد دخل أولئك الوصول - (التيوس) - إلى الجامع الأزهر، وهم راكبون الخيول.. وداس فيه المشاة بالنعالات، وهم يحمضون السلاح والبندقيات، وتفرقوا في سحنه ومقصوراته، وربطوا

خبروهم بقبيلته، وهاشوا في الأروقة والحجرات، وكسروا
القناديل والنهارات، وهشموا خزائن الحلبة، والجوارين والكتبة،
ونهبوا ما وجدوا من المتاع والأواني والقصاص، والودائع والمخبات
بأبد واليب والخزانات، ودشتموا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض
طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحرقوا بالمسجدين
وتسخطوا، وبأثوا وتغوطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيهم
والتقوها بضجته ونواحيه.

وكل من صادفوه به ضرود، ومن ثيابهم أخرجوه، ووجدوا في
بعض الأروقة إنساناً قد بحوه، ومن الحياة أعدموه، وقملوا
بالجامع الأزهر، ما ليس عليهم بمستنكر، لأنهم أعداء الدين،
وأحسام متغلبون، وغرماء متشمتون، وضباع متكاثرون، وأجناس
متباينون، وأشكال متعاندون.

وأعطى تلك النيلة جيش الرحمن، فسحرة لجيش
الشيطان^(١).



٩٠

وتكرر ذات الضلعة - تدنيس الأزهر الشريف، والقمران
الكريم، وكتب السنة النبوية المطهرة - على يد الاستعمار

(١) الحبر في المطهر الثقات، ج ١، دولة الفرس، ص ٨٩، نسخة ١٩٨٠، دار الكتب

عبد الرحمن عبد الرحيم، طبعة القاهرة، دار الكتب ١٩٩٨م.

الإنجليزى (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، فلقد حاول الإنجليز - إبان ثورة الشعب المصري ١٩١٩م - إغلاق الجامع الأزهر في ٢ من أبريل ١٩١٩م، لكن شيخه الشيخ محمد أبو الفضل الحيدراوى (١٢٦٢ - ١٣٤٦هـ / ١٨٤٧ - ١٩٢٧م) رفض.. فاحتجموه ودسوه في ١١ من ديسمبر ١٩١٩م، ولقد وصف ذلك المؤرخ الحجة عبد الرحمن الرافعى (١٣٠٦ - ١٣٨٦هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٦م) فقال:

«لقد وقع في يوم ١١ من ديسمبر ١٩١٩م - ١٨ من ربيع الأول ١٣٣٨هـ - حادث اهتزت له أرجاء القاهرة، وأثار عاصفة من السخط والاستنكار في أنحاء البلاد، وهو اقتحام الجنود الانجليزية الجامع الأزهر، لقد دخلوا بنعالتهم وأسلحتهم - مضاردين للمتظاهرين - واعتدوا على من سادفود بالضرب والإيذاء، فحدث هرج ومرج في الجامع، واقتحم الجنود مكاتب الإدارة، وحاولوا كسر الأبواب، فصرع الموظفون، وحدثت ضجة كبيرة داخل الجامع وخارجه...»^(١).



١١

وإذا كانت الديانات السماوية، وكذلك القوانين الوضعية عبر التاريخ الإنسانى، قد تعارفت وتوافقت على احترام

(١) عبد الرحمن الرافعى (ثورة ١٩١٩م) من ٧٦ - ٧٨، طبعة دار الشعب، القاهرة.

المهود وتقديس عقود الأمان - وخاصة للأسرى، الذين يعانون وطأة الهزيمة والاستضعاف.. فإن الغرب الاستعماري قد احترق بنقض عهود الأمان التي قطعها للأسرى المسلمين. وذبحهم، رغم ما أعطى لهم من عهود الأمان.

ففي الحروب الصليبية الغربية على الإسلام والمسلمين، رأينا ملكهم - الذي يباهون به - «ريتشارد قلب الأسد» (١١٨٩ - ١١٩٩ م) يذبح ثلاثة آلاف جندي من أسرى المسلمين بعد أن قطع لهم عهد الأمان، وبشهادة وعبرة المستشرق الألماني الدكتور «سيجيريد هونكة»:

«فعلى العكس من المسلمين - الذين شملوا أسرى الصليبيين بمرورهم، ونسبوا عليهم من الجود والرحمة ما صار مضرباً للمثل في التحلق بروح الفروسية العالية - ثم تعرف الفروسية النصرانية أي التزام خلقى تجاه كلمة الشرف أو الأسرى، فالتك «ريتشارد قلب الأسد» الذي أقسم بشرفه الثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، إذ هو فجأة متقلب المزاج، فيأسر بذبحهم جميعاً»^(١).

وفي العصر الحديث، رأينا «يونانيرت» (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) بتصرف ذات الجريمة - جريمة القدر بعهد الأمان الذي قطعه لأسرى معركة «يافا» (٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) -، فقتل ذبح آلاف

(١) د. «سيجيريد هونكة» (الله ليس كذلك)، ص ٢٤، طبعة دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥ م.

الجنود المسلمين الذين استسلموا. والذين أعطاهم عهد
الأمان!! ولقد وصف المؤرخ الحجة عبد الرحمن الراضي هذا
العدو، والانتهاك لقداسة عهد الأمان، فقال - نقلاً عن
المؤرخين الفرنسيين :-

« لقد وصل نابليون بجيشه تجاه يافا يوم ٣ من مارس ١٧٩٩ م.
وكان الجيش العثماني بقيادة عبد الله باشا الحزار (١٦٣٢ -
١٢١٩ هـ / ١٧٢٠ - ١٨٠٤ م) ممتنعاً عنها، فحاصرها نابليون
بجنوده. واستولى عليها يوم ٧ من مارس، بعد معركة شديدة
قتل فيها من الجنود العثمانيين ٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون
المدينة، وأعملوا فيها السيف والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسيون يافا، وأركبوا فيها من الضائع ما
تتشعر منه الأبدان - باعتراف المؤرخين الفرنسيين - واستمر
النهب والقتل يومين متواليين، واضطر الجنرال «رويان» - الذي
عينه نابليون قائداً للمدينة - أن يقتل بعض الجنود لإعادة
النظام. فذهب جهده عشواً، ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كل
الجنود من الاعتداء وسفك الدماء!!

ولم يكف ينقطع النهب لمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى
أشدّ هولاً وفظاعة، ذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول
الفرنسيين للمدينة، كان بها من الجنود العثمانيين نحو ثلاثة
آلاف مقاتل. أكرأ التسليم وإلقاء السلاح في يد الفرنسيين
بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابليون، وهما

ببورهارنية، وكروازينية .. ومن هذه الشروط: أن تضمن لهم أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام نابليون ١. وتلقاهم الفرنسيون كاسرى حرب. ولكن نابليون، بعد أن فكر مليلاً في أسرهم، وتردد في شأنهم، أمر بإعدامهم جميعاً رمياً بالرصاص، فسيق أولئك الأسرى إلى شاطئ البحر وأعدموا جميعاً رمياً بالرصاص^(١).



١٢

وعندما احتلت فرنسا الجزائر (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) لم تنسها علمانياتها المتوحشة الحقد النصراني الصليبي على الإسلام والمسلمين، فاعتبرت انتصارها هذا انتصاراً للمسيحية على الإسلام، وسجل رفاعة الطهطاوى (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ / ١٨١١ - ١٨٧٢م) هذه الحقيقة - وكان شاهد عيان عليها يومئذ بباريس - فقال:

«إن المطران الكبير (باريس) لما سمع بأخذ الجزائر، ودخل الملك شارل العاشر (١٨٢٤ - ١٨٣٠م) الكنيسة يشكر الله على ذلك، جاء إليه المطران ليهنئه على هذه النصر، فقال، إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصره عظيمة على

(١) عبد الرحمن الراعي (تاريخ الحركة القومية) ج ٢، ص ٢٩ - ٣٠، طبعة القاهرة

الملة الإسلامية، ولا زالت كذلك^(١).

وعندما احتل الفرنسيون - العلمانيون - بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر (١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) ماذا قالوا في الخطب والكلمات التي عبرت عن حقدهم الصليبي على الإسلام لقد خطب أحد كبار سياستهم فقال:

«إننا لن نقتصر على الجزائريين ماداموا يقرءون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من سنتهم».

ويخطب سياسي آخر فقال:

«لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن. فلقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه. ألا فتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذا الديار...».

ويخطب أحد كرادلة الكنيسة الفرنسية: فقال:

«إن عهد الهلال في الجزائر قد عبر. وإن عهد الصليب قد بدأ. وأنه سيستمر إلى الأبد... وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضادة أركانها بنور مدنية منيع وحليها الإنجيل...».

(١) رفاعة الطومباوي (الأساس الكاملة) ج٢ ص ٢١٩، دراسة وتحقيق: د. محمد شحاتة، طبعة بيروت ١٩٨٣م.

وفي القرن الحادي والعشرين.. وبعد احتلال أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣م - بواسطة تحالف صليبي شرعي بظاهي الحملات الصليبية الأولى - وجدنا رعاة البشر يستعمدون انتهاك كل حرمة المسلمين، مركزين على حرمة «العرض» والدين».

صنعوا ذلك عندما انتهكوا مقدسات الأعراض - للنساء والرجال - ومقدسات العقائد في «سجن» أبو غريب وغيره من السجون - على النحو الذي سجلت نماذج الصور التي شاهدها الناس عبر الفضائيات والتلفزيون والمجلات.

وصنعوا ذلك في مدينة «البالوجة» العراقية في أكتوبر/ نوفمبر ٢٠٠٤م. ففي مدينة تعدادها ٢٠٠,٠٠٠ - أي نحو ثلاث مليون - ومساحتها أربعة كيلو مترات في الطول والعرض:

- دمر الأمريكيون ٥٠ مسجداً - من جملة مساجدها السبعين.

- وأجهزوا على الجرحى في المساجد، ورأى الناس ذلك، عبر الصور، في الفضائيات.

- ودنسوا ودمروا محتويات المساجد - بها في ذلك

انصاحف وكتب السنة النبوية المطهرة.

كما استخدموا الأسلحة المحرمة دولياً - مثل الفوسفور الأبيض، والقنابل العنقودية - ضد المدنيين الأبرياء، بمن فيهم الأطفال والنساء.

وصنع الأمريكيون ذلك - أيضاً - في مستنقل جواتانامو، حيث دنسوا القرآن الكريم، ووضعوا صلباته في المرحض، ليهينوا الأسرى والمعتقلين الذين يقدسون هذا القرآن الكريم^{١١}.

وصنعوا ذلك ببغداد - في يناير ٢٠٠٦م عندما اقتحم الجيش الأمريكي مسجد «أم القرى» - مقر هيئة علماء المسلمين، بالعمراق، ودمروا ودنسوا المقدسات الإسلامية بها فيها القرآن الكريم.. وكتب السنة النبوية المطهرة، ثم رسفوا الصليب على جدران هذا المسجد.



١٤

ولا يحسن أحد أن هذه النماذج - وهي مجرد نماذج - من الوقائع والحقائق، قد كانت هي الذروة التي توقفت عندها الممارسات الفريية في انتهاك حرمان الإسلام ومقدساته، فلقد رأينا من القادة والمستولين - نعم القادة

والمستولين - من يتجاوزون إهانة رسول الإسلام.. والقرآن الكريم.. وغيرهما من الرموز والقدسات - إلى حيث الإهانة حتى للذات الإلهية.

فوزير العدل - نعم العدل (١) - الأمريكي السابق «جون اشكروفت» يهين رب العالمين، فيقول:

«إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس. أما الإسلام، فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله» (١).

والجنرال الأمريكي «ويليام م. ج. بويكن» - نائب وزير الدفاع الأمريكي - يخطب في إحدى الكنائس - وهو يريه العسكري - فيقول:

«إن إلهنا أكبر من إلههم.. إن إلهنا إله حقيقي، وإله المسلمين صلم.. وأنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها أمة مسيحية؛ يهودية. وحرينا معهم هي حرب على الشيطان، وإن دين الإسلام دين شيطاني شرير.. ومحمد هو الشيطان نفسه...» (٢).



(١) صحيفة (أشروق الأوسط) لندن، في ٢٩ / ٢ / ٢٠٠٢م.

(٢) صحيفة (الحياة) لندن في ١٧ / ١٠ / ٢٠٠٢م؛ وصحيفة (الأهرام) القاهرة في ١٨

أما الإهانات الصهيونية لقدسائنا الإسلام، فحدث عنها ولا حرج.

لقد بدأت مع بداية جريمة إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م، وذلك بهدم خمسمائة قرية فلسطينية، وتدمير مناجدتها، وحرق مقابر الأموات فيها!! ثم استمرت هذه الإهانات لتأخذ الآن صورة تهويد مدينة الحرم القدسي الشريف، وتهديد المسجد الأقصى، وذلك بالحفر تحت أساساته، وبناء متحف وكنيس يهودي أسفل ساحاته.. والتجهيز لهدمه، وإقامة هيكل يهودي على أنقاضه.

وبين هذا الذي بدأ عام ١٩٤٨م وهذا الذي يحدث اليوم، كان مسلسل الإهانات التي اقترفها المستوطنون الصهاينة - المدعومين من أمريكا والغرب - بحق القرآن الكريم - تهزيلاً وتدنيساً - وبحق المساجد الإسلامية بكتابة الشعارات المهينة للإسلام والمسلمين على جدرانها، وبالغتصاب الجزء الأكبر من «الحرم الإبراهيمي» - بمدينة الخليل - وحتى يرسم رسول الإسلام (ﷺ) في صورة خنزير!!

• • •

ومع كل هذا الذي مثل ويمثل محضرونا ثقافتنا الكراهية السوداء، تجاه الإسلام ومقدساته وأسمه وحضارته، نجددهم يصعدون رؤوسنا - ومعهم العلمانيون العملاء في بلادنا - عن عيوب الخطاب الإسلامي، وعن رفض المسلمين تلاحقاً وتعصّبهم إزاء الآخرين، ونجددهم يعلمون الميزانيات، ويمارسون الضغوط لتغيير مناهج التعليم في البلاد الإسلامية. وذلك لتحويل الإسلام عن طبيعته، وجعله - كما قال «فوكوياما» - «ديناً حداثياً.. ليبرالياً.. علمانياً.. يقبل المبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

لقد كتب الصحفي الأمريكي الصهيوني توماس فريدمان - إبان الحرب الأمريكية على أفغانستان عام ٢٠٠١م يقول:

«إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، لذلك يجب أن نضرب من حطبتنا العسكرية - أ على أفغانستان - بصرعة.. لتعود مسلحين بالكعب.. لنمو حيل جديد.. يقبل سياساتنا. كما يقبل سلطاننا. وإلى أن يحدث هذا لن نجد لنا أصدقاء هنا»^(١).

ولم يقل أحد بضرورة أن يبصر الغرب، هذا القدي في عيوننا الثقافية التي تنظر بها إلى الإسلام!

(١) صحيفة (وطني) الشارقة في ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م.

إن الأكاذيب والمغالطات والمفترقات - ضد الإسلام - في الكتب المدرسية الغربية - التي تكون عقول الناشئة في البلاد الغربية - قد علأت صفحات ثمانية مجلدات، أنجزها مشروع بحثي جاد، أشرف عليه البروفيسور عبد الجواد شلاتوني وطبعتها جامعة «كوان» - بألمانيا - في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين، فلم لا يتحدث أحد عن ضرورة المراجعة لهذا «الخطاب التعليمي» المملئ بالمفترقات ضد الإسلام والمسلمين؟!

وإن الغربيين الذين يناصبون الإسلام العداء، يتحدثون عن الأصول - اليهودية - المسيحية، تحضارهم الغربية، فلم لا ينظرون إلى العنصرية الدموية التي يطنح بها الخطاب اليهودي ضد جميع الأغبيار.. ذلك الذي تحولته الفاشوى النحاشامية على أرض فلسطين إلى سياسات للإبادة والاختيالات، والتطهير العرقي، والإحلال الاستيطاني على حساب العزل والأيزاء من الفلسطينيين؟!

ألم يقرءوا - في أسفار العهد القديم - :

«وكلّم الرب موسى في عربات موآب على أرض أردن أريحا قائلاً: كلم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. فتملكون الأرض وتساكنون فيها.. وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين

تستيقظون منهم أشواكاً في آسيتكم، ومناخس في جواتبكم،
ويضايقونكم في الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل
بكم كما هممت أن أفعل بهم.

سبعة شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، هزأك
تحرمهم (تلكهم)، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم، ولا
تساوهم، لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار
الرب إلهك لتكون له شعباً أحسن من جميع الشعوب الذين على
وجه الأرض.. عبادك تكون فوق جميع الشعوب.. وتاكل كل
الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك، لا تشفق عيناك
عليهم..^(١)

لم يقرأ أحد من هؤلاء الذين يبتزون المسلمين بالحديث
عن عيوب خطابهم الديني نصوص هذه العنصرية/
الدموية/ المقدسة^(٢) والتي تحولت إلى فتاوى حاخامية
معاصرة، يقول فيها الحاخام العقيد أ. فيمان (زيميل): «إن
اليهالاكاه الشريعة التحض على قتل حتى المذنبين الطيبين»^(٣)

الم يبيصر أحد شيئاً من هذا القذى الذي تعلق به عيون
الغرب: «المنصري» - «العماليبي» - الصهيوني - تجاه الأغيار -
وتجاه الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص؟^(٤)

(١) سفر التثنية، (إصحاح ٢٢: ٥٠ - ٥٢، ٥٤، ٥٦، وإصحاح ١٧: ٣٠، ٣٢، ٣٤ - ٣٦.

(٢) إسرائيل شاهاك (الدبابة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ص ١٣٣ وما بعدها.

ترجمة: حسن خضر، طبعة القاهرة، دار سينما ١٩٩٥م.

ثم.. هل يمكن أن يدخل شيء من هذه الافتراءات والأكاذيب والعنصرية في باب «حرية التعبير»؟

إن هذا الافتراء الغربي على الإسلام ومقدراته سابق بقرون طوال على معرفة الغرب لحرية التعبير.

وهذه الفلسفة الوضعية العلمانية التي أسس عليها الغرب - منذ عصر النهضة - حريته في التعبير، إنما تقوم على «فسيية الفكر الإنساني»، ورفض «المطلقات»، فلم تكون حرية التعبير الخاصة بإهانة رموز الإسلام ومقدراته - وهي موقف وفكر إنساني - من «المطلقات» التي لا تقبل النقاش؟ ولم لا يستخدم الغرب - كل الغرب - هذه الحرية في التعبير عندما يكون الأمر خاصاً بنقد اليهود، أو الصهيونية، أو حتى السياسات الاستعمارية الإسرائيلية؟ فهذا - وفقاً - ينسى الغرب حقه في حرية التعبير، ويحول الممارسات اليهودية والصهيونية والإسرائيلية إلى «مطلقات» معصومة، تتحول انتقاداتها إلى جرائم يعاقب عليها القانون؟

ثم.. هل يجيز الغرب - بحجة حرية التعبير - إعلان المواطن العربي كراهيته لوطنه، وأزواجه لرموزهم، وأهنتهم

على تاريخه، فضلاً عن حرية الخيانة لهذا الوطن؟

ولم تكون حرية التعبير مطلقة.. ومقدسة.. ولا يجوز
التقاش فيها، عندما تكون خاصة بالاضمراء على الإسلام
ومقدسات المسلمين؟



١٨

لقد نهى الإسلام أهله حتى عن سب الأصنام التي
يعبدونها المشركون، وذلك صيانة للمعبود الحق عن سب
الوثنيين، فقال - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم - **وَلَا
تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَ
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**
(الأنعام: ١٠٨).

ولقد آمن المسلمون ويؤمنون.. وصنوا ويعملون على كل
أنبياء الله ورسله، كما آمنوا وصدقوا بكل الكتب السماوية.
وليس فقط بالقرآن الكريم - الذي جاء مصدقاً لما سبقه من
عخلق الذكر والوحي والكتاب - آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وعلائقته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من
رسله (البقرة: ٢٨٥).

ولا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا اعتزف بكل النوار

الآخرين.. وسأوى بين كل الآخرين في الحقوق والواجبات، إذ التكريم الإنهـى - في الإسلام - هو لطلاق النفس الإنسانية؛ لأن البشر، على اختلاف الشعوب والقوميات والأجناس والألوان والثقافات والحضارات، هم من نفس واحدة، تنوعت توجهاتهم وتميزت شرائعهم وثقافتهم وحضاراتهم ليتعارفوا ويتعايشوا: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (التحجرات: ١٣).

والمسلمون مطالبون - في الدولة الإسلامية - بتكوين غير المسلمين من إقامة عقائدهم - التي تكفر بالإسلام، وتمكينهم من الأمن والأمان على سائر مقدساتهم - وهكذا صنعت الدولة الإسلامية، منذ عهد النبوة وعلى استداد التاريخ، تعاشرت فيها جميع ألوان الشرائع والديانات - السماوية والوضعية - ولم يعرف تاريخ المسلمين حرقاً دينية للإكراه على الاعتقاد، وبنص العهد الذي قطعه رسول الله (ﷺ) لعنوم النصارى:

« أن أحصى جانبهم، وأذب عنهم وعن كنانتهم ويصعبهم ويبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السباح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفس وخصتى وأهل الإسلام من ملتي؛ لأننى أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين وعائهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما

عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.../

لكن غير المسلمين - وخاصة في الحضارة الغربية ومؤسساتها الدينية والسياسية - لا يعترفون بالآخر.. أى آخر. وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والمسلمون!

إن الحضارة الغربية - بشهادة العلماء المنصفين من أبنائها - تتمحور حول ذاتها، ولا تعترف بالآخرين، وبعبارة المستشرق الفرنسى «مكسيم رودنسون» (١٩١٥م - ٢٠٠٤م):

«فإن الظاهرة التى لعبت الدور الأكبر في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق.. هي التمرکز حول الذات. وهى صفة طبيعية في الأوروبيين. كانت موجودة دائماً، ولكنها اتخذت الآن - في ظل الإمبريالية الأوروبية - صبغة تنسم بالأذراء الواضح للآخرين.../»

أما عن إنكار المؤسسات الدينية الغربية للإسلام - الذى يعترف بكل الكتب.. والشرائع.. والديانات - فيكفي أنها لا تزال - حتى هذه النحظات - تفكر أن يكون الإسلام ديناً مساوياً.. وأن يكون القرآن وحياً إلهياً.. وأن يكون رسول

(١) مجموعة الوثائق السباسبية للعهد النبوى والخلافة الراشدة من ١١ وما بعدها تحقيق: د. محمد حميد، الله الحيدر آبادى، مؤسسة القاهرة ١٩٥٦م.

(٢) د. محمد عمارة (الإسلام في عيون غربية: بين اقتراء الجهلاء وإنصاف العلماء)، من ٦١، ٦٢، طبعة دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٥م.

الإسلام (ﷺ) نبياً ورسولاً. وهي - بذلك الجحود والإنكار -
تؤسس لهذه الاشتراءات التي توالى وتوالى على الإسلام،
منذ ظهوره، وحتى هذه اللحظات!

لقد عقد - بالقاهرة.. في فندق «شيراتون المطار» -
مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي، في ٢٨، ٢٩ من أكتوبر
٢٠٠١م، ولما جاءت لحظة التوقيع على «البيان الختامي»
ورأى فيه مندوب الهاتيكان - القس خالد أكشة - ومندوب
مجلس الكنائس العالمي - الدكتور طارق متري - عبارة:
«الديانات السماوية.. والقيم الربانية... رفضا التوقيع على
البيان، وقالوا: إننا لا نعترف بالإسلام ديناً سماوياً، ولا بالقيم
الإسلامية قيمةً ربانية!»

وساعتها تساءل الدكتور يوسف القرضاوي - وكان
مشاركاً في هذا الحوار - عن جدوى الجلوس مع عدم
الاعتراف المتبادل، والقبول المتبادل!!

هكذا.. وحتى هذه اللحظات.. يرفض الغرب الحضري..
والديني الاعتراف بالآخر الإسلامي - الذي يعترف بكل
الوان الآخرين!

(١) صحيفة (الأسبوع) القاهرة في ٥ من نوفمبر ٢٠٠١م. وصحيفة (عقيدتر) القاهرة
في ٦ من نوفمبر ٢٠٠١م. وصحيفة (العالم الإسلامي) مكة المكرمة في ١٦ من
نوفمبر ٢٠٠١م.

ومع ذلك يبتزوننا.. ويفترون علينا - صباح مساء -
زاعمين أننا نحن الذين نضيق صدورنا بالآخرين-



تلك إشارات - مجرد إشارات - لبعض الوقائع والحقائق
التاريخية المشاهدة؛ على أن ما نواجهه - نحن المسلمين -
من إهانات غربية موجهة إلى مقدسات الإسلام والمسلمين..
ليست أحداثاً عارضة.. ولا منفردة.. ولا معزولة.. ولا حديثة
الوقوع.. وأن القضية ليست رسماً «كاريكاتورياً» نشرته
صحيفة «بولاندس بوسني» الدانماركية في ٢٠ من سبتمبر
٢٠٠٥م، وتناقلته عنها، بعد ذلك، العديد من الصحف
الأوروبية.. وطبقته على القمصان، وارتدته دوائر مسيحية!!
وإنما نحن أمام موقف معاد لمقدسات الإسلام.. قديم..
وثابت.. وله تاريخ!



لكنهم ليسوا سواء

وإذا كنا قد أشرنا - في بداية هذه الدراسة - إلى أن الغرب ليس موقفاً واحداً، وأن عداوه للإسلام ليس شاملاً.. وأن المشكلة هي مع مشروع الهيمنة الغربي، ومؤسسته - الدينية والسياسية والإعلامية، وأن هناك من علماء الغرب وسفكرية من أنصفوا الإسلام إنصافاً متميزاً وممتازاً، فيكفي للبرهنة على هذه الحقيقة، أن نقدم ثلاث شهادات غربية.. أولها تعترف بافتراء الغرب على الإسلام، ووجوده له، وإنكاره إياه.. وثانيها تنصف القرآن الكريم، ورسول الإسلام (ﷺ)، وهي ترد على افتراءات الغربيين، وثالثها تضع الإسلام في المكانة العليا - التي لا تدانيها مكانة بين الديانات.

١ - لقد كتب المستشرق الفرنسي الحجة «جاك بيرك» (١٩١٠ - ١٩٩٥م)، وهو أحد أعمدة الثقافة الفرنسية

والأوروبية.. كتب يقول عن موقف الغرب من الإسلام:

«إن الإسلام، الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أزيد من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافياً، وتاريخياً، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم.. قد ظل، ويظل حتى هذه الساعة، بالنسبة للغرب، ابن العم

المجهول، والأخ المرفوض، والمنكور الأبدي، والمبعد الأبدي، والمتهم الأبدي، والمشتبه فيه الأبدي،^(١).

٢ - وكتب العالم الإنجليزي «مونتغمري وات» - وهو أحد أعمدة الثقافة الإنجليزية والأوروبية.. والذي أتفق من عصره أكثر من ثلث قرن على دراسة الإسلام - كتب يقول عن صدق القرآن الكريم.. وصدق رسول الإسلام (ﷺ) رداً على افتراءات الأوروبيين:

«إن القرآن ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا: فإن محمداً ليس أكثر من رسول، اختارده الله ليحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولاً، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين.

إنني اعتقد أن القرآن، بمعنى من المعاني، صادر عن الله، وبالتالي فهو وحى..»

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أى تفكير واع منه، وربما كانت الملايح الأساسية للوحى يمكن اختصارها في العناصر الثلاثة الآتية:

(١) من حديث جالك بيرك في ٢٧ / ٦ / ١٩٩٥م مع حسونة المسباحي، حول العرب والإسلام في سطر الاستشراق الفرنسي جالك بيرك، «الشرق الأوسط» لندن في ١ / ١١ / ٢٠٠٠م.

١ - أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر في عقله الواعي.

٢ - وأن تفكيره الشخصي لم يكن له دور في ذلك.

٣ - وأن يقينا جازما كان يمتلك فؤاده بأن هذه الكلمات هي من عند الله.

لقد وجد محمد الكلمات، أو المستوى الشفهي حاضرا في وعيه، فلما تمت كتابته شكل النص القرآني الذي بين أيدينا، وكان محمد واعيا تماما بأنه لا دخل لتفكيره الواعي في هذه الرسالة القرآنية التي قصده، وبصير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يحصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعي، الأمر الذي يعنى أن القرآن لم يكن بآية حان من الأحوال نتاج تفكير محمد.. إنه لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

وفي الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمدا لم يتلق وحيا، وعن الأفكار الشبيهة.. وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحى نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور زيدا بن ثابت (١١ ق.هـ - ٤٥ هـ، ٦١١ - ٦٦٥ م) أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل.. ومن هنا، فإن كثيرا من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه، والقرآن كان يسجل فور نزوله.

وعندما تحدث محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور

التي أوحيت إليه. كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي: لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان مبشر أن يتحدى الله. وليس من شك في أنه ليس من قبيل الصدفة أيضاً أن كلمة (آية) تعني علامة على القدرة الإلهية. وتعني أيضاً فقرة من الوحي...^(١).

٢ - أما المستشرقة الألمانية «الدكتورة سيجيريد مونكة» فلقد كتبت تقول:

«إن الإسلام هو - ولا شك - أنظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد. وإذا ما نحينا هذه المفالطات التاريخية الالهمة في حقه، والجهل البحت به، فإن علينا أن نتقبل هذا التشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو...»^(٢).

هكذا شهد - ويشهد - كثير من علماء الغرب، فيتعفون الإسلام إنصافاً يجب أن يتعلم منه المسلمون.. ويتسلحوا به في الحوار مع المقتريين - من الغربيين - على الإسلام.



(١) ميترجمري وات (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) ص ٣٥، ٣٦، ١٠٦، ٢٤.

(٢) ٥٢ - ٥٣، ٥٤، ٧١، ٢٣، ٦١، ١٢٨، ٦٢، ١٢١، ٨٢، ترجمة: د. عبد الرحمن عبد

الله الشيخ، طبعة القاهرة - مكتبة الأمانة.

(٢) سيجيريد مونكة (الله ليس كذلك) ص ١٠١.

ويعد..

إنها - إذن - معركة لها تاريخ..

وإذا كانت الجماهير تغضب عندما تُهان مقدساتها.. فإن هذا الغضب - مع مشروعيته، وأهميته، بل ووجوده، ليس هو الحل.. وليس هو العلاج للمرضى المستكن في الثقافة الغربية تجاه الإسلام.

وانما الحل والعلاج لدى:

1 - الشبهة الفكرية: التي يجب عليها أن، تقترب العقل الإسلامي.. وأن تقدم للإنسان الغربي مشروعاً فكرياً يعرّفه بحقائق الإسلام - الدين.. والحضارة.. والتاريخ - لتحرر عقل هذا الإنسان من مخزونات ثقافة الكراهية السوداء الموروثة والمستكن في التراث الغربي عن الإسلام ومقدسات المسلمين، وليكن ذلك في صورة مشروع، ألف كتاب إسلامي، تعرّف بحقيقة الإسلام، وترجم إلى مختلف اللغات الغربية الحية والمهمة..

وأيضاً من خلال الحوار الجاد مع مؤسسات العلم والفكر والتعليم والثقافة الغربية.. الحوار الذي يجب أن نعد له أهله القادرين عليه، والمخلصين له.. والذي يكشف للغرب - من

خلال حقائق الإسلام، وشهادات المتصفين من علماء الغرب - عن الأكاذيب والأغانيط والأخطاء التي تراكمت في التراث الغربي والثقافة الغربية عن الإسلام والمسلمين، فلهذا: «شهد شاهد من أهلها» نستطيع أن نفتح عيون الغربيين على حقائق الإسلام، وعلى الافتراءات الغربية - التاريخية.. والحديثة.. والمعاصرة - على الإسلام.

وبذلك - وحده - نحاصر الجهود المنظمة لمؤسسات الهيمنة الغربية في الافتراء على الإسلام، ويكون العلاج «للمرض»، وليس الوقوف - فقط - عند «القرص».

٣ - ولدى النخبة الحاكمة في ديار الإسلام، التي يجب عليها أن تسعى في الجمعية العامة للأمم المتحدة - وللشعوب، فيها أغلبية مضمونة - لاستصدار قرار ملزم - يوافق عليه مجلس الأمن الدولي - باحترام جميع المقدسات الدينية، لكل الأديان التي تؤمن بها الأمم والشعوب.

كما يجب على هذه النخبة الحاكمة أن «ترتب البيت الإسلامي»، وذلك بتحرير ديار الإسلام من القواعد العسكرية الغربية التي تنقص من سيادتنا وحريتنا وكرامتنا.. وتحرير البحار والمحيطات في عالم الإسلام من الأساطيل الغربية.. وتحرير ثروات العالم الإسلامي من النهب الاستعماري الغربي... فسدور، ترتب البيت

الإسلامي.. وتعظيم إمكانات و«أوراق الضغط» التي تملكها
الامة الإسلامية لن يحترمنا الآخرون بأى حال من الأحوال.



تلك هي «المشكلة.. والداء»... وهذا هو «الحل والدواء».

وصدق الله العظيم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ
يَتْلُونَ آيَاتَ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّاحِقِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١١٣ - ١١٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْقُضُونَ أُمُورَهُمْ
لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْقُضُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦، ٣٧) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧)
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (المصفا: ٧ - ٩).



المراجع

- (تزيد من الحقائق والتفاصيل حول موضوع الدراسة، يمكن الرجوع إلى كتبنا):
- ١ - الغرب والإسلام، أين الخطأ وأين الصواب؟ طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
 - ٢ - الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥م.
 - ٣ - في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢م.
 - ٤ - الإسلام في عيون غربية، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٥م.
 - ٥ - الأصولية بين الغرب والإسلام، طبعة دار الشروق، ١٩٩٨م.
 - ٦ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ٧ - الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.
 - ٨ - الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٨م.
 - ٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.
 - ١٠ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، طبعة نهضة مصر، ٢٠٠٠م.
 - ١١ - محاضرات العولمة على الهوية الثقافية، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٩م.
 - ١٢ - أين رشد بين الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.
 - ١٣ - القارة الجديدة على الإسلام، طبعة دار الترشاد، ١٩٩٨م.
 - ١٤ - الغزو الفكري: وهم.. أم حقيقة؟، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ١٥ - سقوط الغلو العلماني، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ١٦ - الإسلام بين التوير والتزوير، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ١٧ - التفسير الماركسي للإسلام، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ١٨ - هذا هو الإسلام - سلسلة صدرت فيها خمسة كتب - طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م.

الفهرس

٥	هذه الدراسة: لماذا؟
٧	تعهد
١٤	فضل جديد.. وليس الأخير!
١٨	ليس غرباً واحداً
٢٦	عداء.. وإهانات لها تاريخ
٥٦	لكنهم ليسوا سواء
٦٠	وبعد
٦٣	مراجع
٦٤	الفهرس

هذا الكتاب

فصل جديد .. وليس الأخير في مسلسل العداء الغربي للإسلام، وتعمد إهانة مقدساته، وفي المقدمة منها رسوله العظيم، وقرآنه الكريم، وهو يوضح أن هذا العداء والافتراء له تاريخ سابق حتى على علمنة الفكر الغربي والمجتمعات الغربية. وليس المقصود من هذه الدراسة أن تكون دعوة «لكراهية الغرب»، وإنما هي جهد مخلص لمعالجة جذور «الكراهية» التي تنميتها وترعاها مؤسسات الهيمنة الغربية ضد الإسلام. وتسلط الدراسة الضوء على الوقائع التي تسمم العلاقات بين الغرب والإسلام، والتي تجعل الحوار بينهما أشبه ما يكون «بحوار الطرشان».



تطلب من : مركز الاعلام العربي

ص.ب. 93 الهرم - الجيزة - مصر ت. 202 / 3833361 - ف. 202 / 3844422 - ف. 202 / 3851751

البريد الإلكتروني : Email:media-c@ic-eg.com